بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كليّة الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

علم البلاغة العربية البيان والمعاني والبديع /ج1

دروس و أعمال موجهة في مادة: البلاغة العربية

الأفواج: الأول و الثاني

تقديم الأستاذ: عبد الرحيم عزاب

جذع مشترك.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

البلاغة في اللغة والاصطلاح:

البلاغة لغة: الوصول والانتهاء. أما في الاصطلاح فهي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب مع مناسبة كل كلام للموقف الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون به.

حقيقة البلاغة:

يقول علي الجارم ومصطفى أمين: "ليست البلاغة إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب ... وليس هناك من فرق بين البليغ والرسام، إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يشارك بين المرئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء، فالرسام إذا هم برسم صورة فكر في الألوان الملائمة لها، ثم في تأليف هذه الألوان بحيث تختلب الأبصار وتثير الوجدان، والبليغ إذا أراد أن ينشئ قصيدة أو مقالة أو خطبة فكر في أجزائها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع، وأكثرها اتصالا بموضوعه، ثم أقواها أثرا في نفوس سامعيه وأروعها جمالا"[1].

الفصاحة في اللغة والاصطلاح

الفصاحة لغة: الظهور والبيان، يقال: أفصح الصبح إذا ظهر، وأفصح الصبي في منطقه: إذا بان وظهر كلامه، وأفصح الأعجمي إذا أبان، والكلام الفصيح: ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، وذلك بأن تكون كل كلمة فيه جارية على القياس الصرفي، بينة في معناها، مفهومة عذبة سلسة.

وفصاحة الكلمة تقتضي أن تكون هذه الكلمة مألوفة الاستعمال من قبل الكتاب والشعراء.

1 علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص15.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

والحَكَم في معرفة حسن الكلمات وسلاستها أو معرفة ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه هو الذوق السليم[2].

فصاحة الكلمة

تكون الكلمة فصيحة إذا سلمت من أربعة عيوب؛ وهي:

1. تنافر الحروف.
2. الغرابة.
3. مخالفة القياس الصرفي.
4. الكراهة في السمع.

ففصاحة الكلمة تتحقق بأن تكون حروفها متآلفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع وضوح معناها، وتداولها بين المتكلمين، وموافقتها للقواعد الصرفية.

وسبيل تحقيق هذه الشروط الذوق السليم والإلمام بمتن اللغة، وقواعد الصرف، وكثرة مطالعة الكلام الفصيح واستظهار نصوصه.

وفي ما يأتي شرح للعيوب التي تخل بالفصاحة.

تنافر الحروف: وهو أن تكون الكلمة ثقيلة على السمع، ثقيلة على اللسان، يصعب النطق بها، وعادة ما يكون سبب التنافر والثقل تقارب مخارج أصوات الكلمة.

ومن شواهد هذا النوع كلمة (مستشزرات) بمعنى: مرتفعات.

وكلمة (الهعخَع): وهو اسم نبات.

الغرابة: الغرابة أن تكون الكلمة قليلة الوضوح، غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند فصحاء العرب وبلغائهم، في شعرهم ونثرهم...

2| المرجع نفسه، ص11.

والغرابة إما أن تكون بسبب ندرة استعمال الكلمة عند العرب، وإما أن تكون بسبب أن التوصل إلى المراد منها في الكلام يحتاج إلى تخريج متكلف بعيد، نحو البعاق للمرط، وجَرْدَحْل للوادي.

مخالفة القياس الصرفي: وذلك بأن تكون الكلمة شاذة مخالفة لقواعد الصرف، كفك إدغام أو جمع على غير قياس، أو قطع همزة الوصل أو غير ذلك، نحو كلمة (الأجلل) في بيت أبي النجم:

الحمد لله العَليِّ الأجْلَـلِ أنت مليك الناس ربا فاقبل

إذ القياس: (الأجلِّ).

وكلمة (بوقات) في بيت المتنبي:

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

إذ القياس: (أبواق).

الكراهة في السمع: تكون الكلمة مكروهة في السمع، خشنة وحشية، تأنف منها الطباع وتنفر منها الأسماع.

نحو كلمة (الجرشّى) في بيت المتنبي:

مبارك الاسم أغرّ اللقب كريم الجرشّى شريف النسب

فإنه استعمل كلمة (الجرشى) بمعنى: النفس، على وحشيتها وكراهتها في السمع.

فصاحة الكلام وما يزيد به على الكلمة

يشترط في فصاحة الكلام ما يشترط في فصاحة الكلمات المفردة، ومعنى ذلك أن الكلام لا يحقق شرط الفصاحة إلا إذا حققتها مفرداته التي يتألف منها، ثم يزيد عليها الكلام بشروط أهمها:

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

1. أن لا ينطوي على تكرار مخلّ يؤدي إلى تنافر الكلمات مجتمعة وإن كانت كل كلمة منها فصيحة منفردة نحو:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

2. أن يخلو من ضعف التأليف ومخالفة ما اشتهر من قوانين النحو، كتقديم غير الأعرف من الضميرين الموصولين في قول المتنبي:

خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كيلا تحزنا

أو تقديم الضمير العائد على متأخر في اللفظ والرتبة كقول حسان بن ثابت:

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

3. **التعقيد اللفظي أو المعنوي:** فالتعقيد اللفظي ترتيب الألفاظ على غير ما يقتضيه ترتيب المعاني أو الفصل بين ما لا يحتمل الفصل كقول المتنبي:

جَفَخَتْ وهم لا يجفخون بها بهم شِيَم على الحَسَب الأغَرِّ دلائل

والتعقيد المعنوي أن يستعمل المتكلم الألفاظ في غير معانيها الحقيقية، فيلتبس الأمر على السامع ولا يتوصل إلى المعنى إلا بعد عناء وطول تفكير،، كقول عباس بن الاحنف:

سأطلبُ بُعد الدار عنكم لتَقْرُبوا وتسكبُ عيناي الدُّموع لتَجْمُدَا

فإنه قرن جمود العين بالفرح والسرور، وهو خلاف ما تعارفه العرب من أن جمود العين إنما يُكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن لا حالة الفرح.

ونلاحظ أمرين اثنين في تناول البلاغيين لمفهوم الفصاحة:

أولهما: تركيزهم في تناول الفصاحة على الألفاظ المفردة، وعند حديثهم عن فصاحة التركيب عدوه ألفاظا مجتمعة، ناظرين إليه من خلالها.

Email : abderrahmazeb_alg@yahoo.fr

وثانيهما: تراوح الشروط التي وضعوها لفصاحة المفردات بين ما يمكن أن نسميه شروطا داخلية؛ تتصل بمخارج الحروف وخصائصها، وبين شروط أخرى، تتعلق عموما بمدى شيوع الكلمة وجريانها على العرف اللغوي.

فمن شروط فصاحة المفردات كما أوردها ابن سنان(ت466):

1) تباعد المخارج.

2) الحسن في السمع.

3) ألا تكون وحشية.

4) ألا تكون عامية.

5) ألا تكون شاذة على القياس.

6) ألا تكون مما يكره ذكره. (3)

فالشرطان الأولان، شرطان صوتيان، أما بقية الشروط فهي تتصل باستعمال المتعارف من اللغة.

وهكذا فإن مفهوم الفصاحة ينبني على التناسب بصفة عامة، وهذا التناسب ذو جانبين:

. تناسب بين أصوات اللفظة الواحدة، بما يجعلها وسطا بين التماثل الأقصى واللاتماثل الأقصى.

. وتناسب اللفظة مع المستعمل في العرف اللغوي والاجتماعي، بأن تكون وسطا بين الحوشي المستكره، والشائع المبتذل، ولكن الحكم في كل ذلك لا ينفصل عن السياق اللغوي وغير اللغوي، فهذا السياق هو الذي قد يحكم للفظة أو عليها، وبهذا يتضح أن مفهوم الفصاحة هو مفهوم ذو أساس جمالي يتلخص في أن الحكم بفصاحة

(3) الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982/1402م .

اللفظة هو في الوقت ذاته حكم لها بالرونق والجمال، والبعد عن النبوّ والثّقل، والاستكراه والابتذال.

ملاحظة:

بالنظر إلى أن الفصاحة تتعلق بالكلمات والبلاغة تتعلق بالكلام فإن الكلام لا يكون بليغا إلا إذا حققت كلماته مفردة ومجتمعة شرط الفصاحة، وعلى ذلك فإن كل كلام بليغ هو كلام فصيح بالضرورة وليس كل كلام فصيح بليغا بالضرورة.

2- أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي

البلاغة فن واسع البنيان ممتد الأركان أسهمت كثير من الطوائف في إثرائه وتطوره كالكتاب والمتكلمين واللغويين والنحاة والرواية والشعراء وغيرهم.

تطورت كثير من المباحث البلاغية في خضم الجدل الذي ثار بين المتكلمين من معتزلة ومرجئة وشيعة وخوارج... ويمكن أن نعزو ذلك الارتباط الوثيق بين المباحث البلاغية والقضايا الكلامية إلى أمرين:

الأمر الأول: الطابع الجدالي الإقناعي الذي ينطق به علم الكلام سواء ما اتصل من ذلك بالدفاع عن قضايا العقيدة وآراء أصحاب المذهب الكلامي ومعتقداتهم أم دحض حجة الخصوم وإبطال معتقداتهم، وبذلك يتقاطع علم الكلام مع الجانب الحجاجي للبلاغة.

الأمر الثاني: ارتباط الدفاع عن إعجاز القرآن وبيان حقيقته بمسائل العقيدة كمسألة كلام الله وصفاته وأسمائه...

ولقد كان أكثر رواد البحث في الإعجاز والتأليف فيه من المعتزلة كواصل بن عطاء وأبي عبد الله الواسطي والجاحظ وبشر بن المعتمر وعلي بن عيسى الرماني.

"وكان القرآن والسنة مرجع المتكلمين في جدلهم، فمن نصوصهما كانوا يستمدون الادلة ويوجهونها نحو المعاني التي يقصدونها كما عنوا بالنظر في هذه النصوص يدافعون عنها حينا ويهاجمونها حينا آخر، ويثبتون المجاز فيها تارة وينفونه عنها تارة اخرى ... ومن هنا كانت صلتهم بالبحوث اللغوية والبلاغية وثيقة"[4].

ويرى الدكتور فضل عباس أن البحث في إعجاز القرآن كان أحد اتجاهين اثنين في الدراسات البلاغية يقابل الاتجاه الذي اهتم بالبيان عامة ولم يقتصر على البحث في الإعجاز[5]، وبالنظر إلى كون قضية الإعجاز القرآني قضية ذات بعدين: بعد عقائدي وبعد لغوي، فإنها كانت محط اهتمام المتكلمين والمعتزلة منهم خاصة.

تميز المعتزلة عن سائر الفرق الكلامية بأنهم نصبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام أمام خصومه من أصحاب الملل، كما نصبوا أنفسهم لجدال أصحاب الفرق الإسلامية من جبرية ومرجئة ومن خوارج وشيعة...ورأيناهم يأخذون أنفسهم بثقافة عربية أصيلة مضيفين إليها ألوانا من الثقافة الأجنبية وخاصة من الفلسفة وما يتصل بها من المنطق[6].

4 عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1970م، ص 24.
5 فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 74-75.
6 شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 35.

3- علوم البلاغة:

شاع بين البلاغيين بعد السكاكي تقسيم البلاغة إلى ثلاثة علوم هي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، ولكن بعض الباحثين المحدثين انتقدوا الفصل بين علوم البلاغة، ورأوا أن التقسيم الثلاثي لعلومها "مصطنع وغير واقعي"(7)، وأنه "يجافي عملية الإبداع الفني"(8)، وهذا بالنظر إلى أن عملية الإبداع كل متكامل لا تتمايز فيها هذه الجوانب في ذهن المبدع وأحاسيسه وتصوراته، ويبدو هذا صحيحا إذا قصد به الفصل المبالغ فيه، الذي لا يُبقي الصلات قائمة بين أجزاء النص المدروس وظواهره الجمالية، لا سيما وأن بين علوم البلاغة من التداخل ما تتعذر معه عملية الفصل أصلا، حتى إن بعض الظواهر البلاغية تتنازعها علوم البلاغة، فلا يُدرى أي العلوم أحق بها.

لكن تقسيم البلاغة إلى علوم يبدو . من جهة أخرى . ضرورة منهجية، تفرضها طبيعة العلم نفسه، حين يجنح إلى تفصيل الظواهر وتجزيئها قصد إخضاعها للدرس والتجريب.

وإذا كان المعارضون لتقسيم البلاغة إلى علومها المعروفة ينطلقون من أن هذا التقسيم لم يعرفه أوائل البلاغيين، ولم يصطنعه إلا المتأخرون، فإن أحد الباحثين رأى أن التمييز بين علوم البلاغة كان ثابتا منذ مراحلها الأولى(9)، وأن تمايز علومها مرّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى تم فيها التمييز بين النظم والبديع في نهاية القرن الرابع، من خلال الإلحاح على فكرة النظم في تعليل الإعجاز، وهو ما مهّد لاستقلال علم المعاني عن ألوان البديع الأخرى(10).

والمرحلة الثانية كان التمييز فيها بين النظم واللفظ في القرن الخامس، مع عبد القاهر الجرجاني، وكان ذلك أساس استقلال علم البيان عن غيره(11).

(7)مصطفى الصاوي الجويني ، البديع لغة الموسيقى والزخرف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م، ص08.
(8) المرجع نفسه، ص08.
(9)حسن طبل ، حول الإعجاز البلاغي في القرآن، مكتبة الإيمان، ط1، القاهرة، 1999/1420م، ص73.
(10) المرجع نفسه، ص79، 80.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

ومهما يكن من أمر فإن علوم البلاغة قد تدرجت في النشأة إلى أن اكتمل تمايزها في القرن الخامس، أما فكرة التقسيم فهي ضرورة منهجية أملتها وتمليها طبيعة العلم الذي أريد للبلاغة أن تكونه.

(11) المرجع نفسه ، ص74، 80.

3 - الخبر والإنشاء

أي كلام مفيد ننطق به، فإما أن نقرر به أمرا من الأمور ونخبر عن قضية من القضايا، وإما أن نتحدث عن أمر لم يحصل بعد، نطلب تحقيقه أو ننهى عنه، أو نتمناه، أو نستخبر ونستفهم عنه، أو نناديه.

فالقسم الأول هو الخبر، والقسم الثاني هو الإنشاء، ومعنى ذلك أن الخبر ما هو احتمل الصدق والكذب، وأن الإنشاء ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا.

غرضا الخبر:

الأصل في سوق الخبر إلى المخاطب إعلامه به إذا كان يجهله، ويسمى هذا الغرض عند البلاغيين فائدة الخبر.

لكن المتكلم قد يسوق إلى المخاطب من الأخبار ما لا يجهله، وإنما يكون غرض المتكلم في هذه الحالة إعلام المخاطَب بعلم المتكلم بالخبر، وهذا الغرض هو ما يسميه البلاغيون لازم الفائدة.

خروج الخبر عن غرضه

قد يخرج الخبر عن غرضيه الأساسيين (فائدة الخبر ولازم الفائدة) إلى أغراض أخرى يدل عليها السياق، وأهمها:

1. **التحسر والتأسف:** كقول أم مريم: (إني وضعتها أنثى) (آل عمران: 36).
2. **إظهار الضعف:** كقول زكرياء عليه السلام: (إني وهن العظم مني) (مريم: 04).
3. **الاسترحام والاستعطاف:** كقول موسى: (إني ظلمت نفسي فاغفر لي) (القصص: 16).
4. **إظهار الفرح:** كقول الناجح لزملائه: نجحنا !، وكقول المنتصر لرفاقه: انتصرنا !
5. **الشماتة:** كقول القائد المنتصر عن اعدائه: لقوا مصرعهم تباعا.
6. **الوعظ:** كقوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

7. **التذكير بتفاوت المراتب:** كقوله تعالى: (وما يستوي الأعمى والبصير).
8. **الحث:** كقوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) .

أضرب الخبر (مراتبه بحسب حال المخاطب)

للمخاطب إزاء الخبر ثلاث حالات:

أ. أن يكون **خالي الذهن من الحكم**، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليا من ادوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا.

ب. أن يكون **مترددا في الحكم** طالبا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وهذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويسمى هذا الضرب طلبيا.

ج. أن يكون **منكرا له**، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا، ويسمى هذا الضرب إنكاريا[20].

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر:

قد يساق الخبر للمخاطب المنكر أو المتردّد غير مؤكد، وقد ينزل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر فيؤكد له الخبر، ويعد البلاغيون هذا العدول خروجا عن مقتضى الظاهر.

ولهذا الخروج ثلاث صور:

- أن **يُنَزَّل غير المتردد منزلة المتردد**، فيؤكد له الخبر بمؤكد.
- أن **يُنَزَّل غير المنكر منزلة المنكر**، فيؤكد له الخبر بأكثر من مؤكد.
- أن **يُنَزَّل المنكر منزلة غير المنكر**، فلا يؤكد له.

20 البلاغة الواضحة، ص 264.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

الإنشاء:

الإنشاء هو ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا، وهو قسمان: طلبي، وغير طلبي.

- **فالإنشاء الطلبي** يستدعي أمرا غير حاصل عند التلفظ به.
- أما **الإنشاء غير الطلبي** فلا يستدعي أمرا غير حاصل عند التلفظ به.

ويضم الإنشاء الطلبي: الأمر والنهي، والتمنّي، والاستفهام، والنداء.

ويتضمن الإنشاء غير الطلبي: المدح والذمّ والتعجّب والقسم وصيغ العقود (البيع والشراء والهبة وغيرها).

الأمر: هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء، مثل قوله تعالى: (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وله أربع صيغ:

- **فعل الأمر**.
- **المضارع المقترن بلام الأمر**، نحو قوله تعالى: (لِينفق ذو سعة من سعته) (الطلاق: 07).
- **المصدر النائب عن فعله**، نحو قوله القائل:

سعيا إلى المجد يا شباب

- **اسم فعل الأمر**، نحو: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

- الأصل في الأمر أن يدل على الوجوب إذا كان من الأعلى إلى الأدنى، وقد يدل على الدعاء إذا كان من الأدنى إلى الأعلى، أو يدل على الالتماس إذا كان من المُساوي، وقد يخرج الأمر إلى معان أخرى يهدي إليها السياق **كالإباحة** في قوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) (البقرة: 187).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

والتهديد في قوله تعالى: (اعملوا ما شئتم) (فصلت: 40).

والتعجيب في قوله تعالى: (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) (الإسراء: 48).

والتعجيز كقوله تعالى: (فاتوا بسورة من مثله) (البقرة: 23).

والإهانة كما في قوله تعالى: (ذق إنك أنت العزيز الكريم). (الدخان)

أو غير ذلك من المعاني الكثيرة التي تدل عليها القرائن وتستخلص من السياق.

- **النهي**: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.
- وله صيغة واحدة هي المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية كقوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط).

فإن كان النهي من الأدنى إلى الأعلى كان دعاء كقوله تعالى: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا) (البقرة: 286).

وإن كان من المساوي كان التماسا.

- وقد يخرج النهي عن معناه الأصلي إلى معان أخر كثيرة يهدي إليها السياق وترشد إليها القرائن، ومن أهمها:
  - **التهديد**: كقولك للمهمل: لا تدرس وسوف ترى.
  - **التسلية والتصبُّر** :كقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: (لا تحزن إن الله معنا).
  - **التوبيخ** :كقول أبي الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

  - **الاعتذار**: كقول موسى عليه السلام للخضر: (لا تؤاخذني بما نسيت).

الاستفهام وأدواته: الاستفهام هو السؤال عن مجهول، وأدواته كثيرة هي:

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

- **الهمزة:** ويستفهم بها عن تعيين المفرد (التصور) وعن النسبة (التصديق).
- **هل:** ويستفهم بها عن النسبة (التصديق).
- **من:** ويستفهم بها عن العاقل.
- **ما:** يستفهم بها عن غير العاقل.
- **متى:** يستفهم بها عن الزمان.
- **أيان:**يستفهم بها عن الزمان المستقبل.
- **أين:**يستفهم بها عن المكان.
- **أنى:** وتكافئ في دلالتها كيف ومن أين ومتى.
- **كيف:**يستفهم بها عن الحال.
- **كم:**يستفهم بها عن المقدار.
- أي: وتصلح لكل معنى بحسب ما تضاف إليه.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي في السؤال عن مجهول، إلى معان أخرى يدركها السامع من السياق كالأمر والنفي، والتهديد والتقرير والتهويل والتقرير والعرض والاستهانة والازدراء.

التمني: هو طلب حصول أمر لا يُرجى حصوله، إما لاستحالته وإما لأنه غير مطموع في وقوعه، فمن الأول قوله تعالى: (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) ومن الثاني قوله تعالى على لسان قوم قارون: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون)

وأدوات التمني أربع: ليت، وهل، ولعل، ولو.

ليت: كقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

هل: كقول الشاعر:

أيا منزلي نجد سلام عليكم هل الأزمن اللائي مضين رواجع

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

ولعل: كقول الشاعر:

أسرب القطا هل من معير جناحه لعلي إلى من قد هويت اطير

لو: كقول الكفار يوم القيامة: (فلو أن لنا كرّة فنكون من المؤمنين).

النداء: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بسمعه وانتباهه أو بنفسه.

وأدواته: الهمزة وأي لنداء القريب، وباقي الأدوات لنداء البعيد.

يا: كقول الشاعر:

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا كان يجيبنا

أيا: كقول الشاعر:

أيا جامع الدنيا لغير مقامه أتجمع للدنيا وأنت تموت

هيا: كقول الشاعر:

هيا غائبا عني وفي القلب ذكره أما آن أن يَحْظى بوجهك ناظري

ومن أدوات الاستفهام أيضا: آ، و آي، و وا.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

التقديم والتأخير

موضوع التقديم والتأخير .كأكثر مباحث علم المعاني . مشترك بين النحو والبلاغة؛ فقد تحدث عنه سيبويه في كتابه، وأشار إلى سره في الكلام، وذكر أنه يأتي للعناية والاهتمام، أو للتأكيد والتنبيه، وأنه يكون أحيانا لغير علة بلاغية[21]، ومن المؤكد أن سيبويه . وهو الذي جعل سلامة التركيب غايته . لم يكن ليهتم ببحث الأسرار الفنية لظاهرة التقديم والتأخير كبحث البلاغيين لها، ولكن جمهور اللغويين منذ سيبويه كانوا على وعي بأن التقديم والتأخير استثناء وخروج عن الأصل الذي يمثل . أو تمثله . القاعدة العامة في ترتيب وحدات التركيب.

وقد أثارت قضية التقديم والتأخير. بوصفها ظاهرة أسلوبية يعدل إليها عن أصل مفترض . نقاشا هاما بين العلماء، بين من يرى فيها عدولا يعتمد على الاختيار، ومن يعدها نوعا من الاضطرار، وهو اضطرار تفرضه بعض القيود العروضية، أو المناسبات اللفظية، ولكن عبد القاهر يناصر الرأي الأول، فينفي طابع العشوائية واللامعنى عن ظاهرة التقديم والتأخير، ويؤكد قيمتها الأسلوبية وبعدها الفني بقوله: "واعلم أن من الخطإ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين؛ فيجعل مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه، ولذلك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى"[22].

وقد عالج البلاغيون مسألة التقديم والتأخير بوصفها أحد أهم مظاهر العدول في مستوى التراكيب، وأدركوا ما لها من قيمة فنية، وإذا كان بعضهم قد نظر إليها على أنها ملجأ يضطر إليه لتلبية بعض المطالب الشكلية للأسلوب، فإن آخرين أدركوا البعد الفني لظاهرة التقديم والتأخير فتناولوها تناول من يرى فيها اختيارا حرا، يعمد إليه ابتغاء مطالب فنية وأغراض

(21) ينظر: كتاب سيبويه، 34/1.

(22) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص120.

بلاغية وأسرار تعبيرية لا تكاد تتناهى، كما أنه مثل بالنسبة إليهم عدولا عن الأصل الذي تمثله القاعدة، أو يجسّده السياق.

تقديم المسند إليه: يقدم المسند إليه لأغراض أهمها:

- **التشويق**: وذلك إذا كان في المسند إليه غرابة تجعل المخاطب يتطلع إلى معرفة المسند.

كقول أبي العلاء المعري:

والذي حارت البريَّة فيه حيوان مستحدَث من جَماد

- **التخصيص**: وذلك بأن يقع المسند إليه بعد نفي، ويكون خبره (المسند) فعلا.

ويكون الغرض في هذه الحالة نفي الفعل عن المسند إليه، وإثباته (ضمنيا) لغيره، ومن شواهده قول المتنبي:

وما أنا أسقمتُ جسمي به ولا أنا أضرمتُ في القلب نارا

وذهب البلاغيون إلى أن النفي إذا تأخر عن المسند إليه كان الغرض منه تقوية الحكم وتأكيده كما في قوله تعالى: (والذين هم بربهم لا يشركون) (المؤمنون: 59).

وقد يفيد التخصيصَ أيضا (زيادة على تقوية الحكم) كما في قوله تعالى: (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) (آل عمران: 05).

- **التعميم**: وذلك إذا ورد في الجملة ما يدل على العموم (كل وجميع ومن وغيرها) وتقدمت على أداة النفي (لا، ولم وغيرهما)، كقول أبي النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدّعي عليَّ ذنبا كلُّه لم أصنع

وفي هذه الحالة نثبت الحكم لجميع الأفراد دون استثناء ويسمّى هذا **عموم السلب**.

فإذا تقدمت أداة النفي على أداة العموم أُثبت الحكم لبعض الأفراد دون غيرهم ويسمى هذا **سلب العموم**.

ومنه قول المتنبي:

ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

– توكيد الإثبات أو النفي بـ (مثل) و (غير):

ويكون هذا في استعمال خاصّ لهما يقصد منه توكيد إثبات الحكم للمسند إليه مع كلمة (مثل) كقول المتنبّي مخاطبا ممدوحه:

مثلك يثني المُزْن عن صوبه ويستردّ الدمع عن غَربه

فهو يريد أن يثبت الكرم لممدوحه، لا أن يثبته لمثيله.

وأما كلمة (غير) فقد تستعمل كذلك في سياق خاص بقصد توكيد نفي الحكم عن المسند إليه، ومن شواهده قول أبي تمام:

وغيري يأكل المعروف سُحتا وتَشحب عنده بيض الأيادي

فهو لا يريد أن يثبت أكل السحت لغيره، بل غايته أن ينفيه عن نفسه هو.

تقديم المسند:

ويقدم المسند على المسند إليه لأغراض يقصدها المتكلم ويقتضيها السياق أهمها:

– **التخصيص**: وذلك أن يراد تخصيص المسند بالمسند إليه (تخصيص الخبر بالمبتدأ) كما في قوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد) (الروم: 4)، فمعناه إثبات الأمر لله وحده، ونفيه عن غيره.

– **التنبيه على الخبرية**: وذلك حتى لا يلتبس بالصفة، فإننا لو قلنا: (حياة لكم في القصاص)، جاز أن تكون (لكم) صفة بتقدير: في القصاص حياة لكم.

فالمبتدأ المؤخر: حياة.

والخبر المقدم: في القصاص.

فإذا قُدمت (لكم) كما في قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة) (البقرة: 179)، ظهر أنها الخبر المقدم.

- **التشويق:** قد يتقدم المسند إليه (المبتدأ) تشويقا لمعرفة المسند (الخبر)، وقد سبق.

وقد يقدم المسند (الخبر) تشويقا لمعرفة المسند إليه (المبتدأ)، ومن شواهده قول الشاعر محمد بن وهيب:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

ففيه تقديم وتأخير بين المسند والمسند إليه.

لأن أصل الكلام: شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر ثلاثة تشرق الدنيا ...

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ).

تقديم متعلقات الفعل: يقصد بمتعلقات الفعل: المفعول والجار والمجرور والحال والزمان والمكان. ويكون تقديم هذه المتعلقات في الغالب للتخصيص وقصر الفعل عليها ونفي تعلقه بغيرها.

- **فتقديم المفعول** كقوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) (الفاتحة: 05).
- **وتقديم الحال** كقول القائل: **ماشيا أتيت**
- **وتقديم الجار والمجرور** كقوله تعالى: (وإلى الله ترجعون) ، والمعنى أنكم ترجعون إلى الله لا إلى أحد غيره.
- وتقديم الزمان كقوله تعالى: (ويوم القيامة لا ينصرون)
- **وتقديم المكان كقول القائل: تحت أقدام الأمهات جنتنا**

الفصل والوصل:

الفصل: هو ترك العطف بين الجملتين، والوصل عطف الجملة على الجملة بأحد حروف العطف، وهو الواو.

مواطن الفصل: هناك مواطن يكون فيها الفصل أصح وأبلغ من الوصل هي:

1. **كمال الاتصال**: وذلك بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى كقوله تعالى: (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (البقرة: 2) فكل جملة منها جاءت مؤكدة للتي قبلها.

ومن هذا القبيل قول حسان بن ثابت:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال

فالجملة "لا أدنسه" جاءت تأكيدا لسابقتها ففصلت عنها.

ومنه قول المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فإن الجملة الثانية جاءت مؤكدة للأولى ففصلت عنها.

– ومن كمال الاتصال أن تأتي الجملة الثانية بدلا من الأولى، بدل اشتمال أو بدل بعض من كل.

كقوله تعالى: (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين) (الشعراء: 132،133) فالجملة الثانية (أمدكم بأنعام وبنين) هي بدل بعض من كل.

وبدل الاشتمال كقوله تعالى: (اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) (يس: 20،21)، فالجملة الثانية بدل اشتمال من الجملة الأولى، إذ عدم سؤال الأجر ليس داخلا في مفهوم الرسالة.

- ومن كمال الاتصال أن تكون الجملة الثانية عطف بيان للأولى، كقوله تعالى: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (طه: 120).
- ومنه قول المعرّي:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وقول النابغة في رثاء أخيه:

حسب الخليلين نأي الأرض بينهما هذا عليها وهذا تحتها بالي

شبه كمال الاتصال: وذلك بأن تأتي الجملة الثانية جوابا عن سؤال فهم من الجملة الأولى أو ذكر فيها صراحة.

ومن ذلك قول امرأة العزيز: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) (يوسف: 53) وكأن سائلا سأل: ولم لا تبرئين نفسك؟ فأجابت: إن النفس لأمّارة بالسوء.

ومنه قوله تعالى: (بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا أئنا لمبعوثون) (المؤمنون: 81،82).

حيث يجد القارئ المتدبر نفسه يسأل تلقائيا وماذا قال الأولون؟ فيجاب: (قالوا أئذا متنا...).

ومن شواهد هذا النوع في الشعر قول الشاعر:

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

فكأن سائلا سأل بعد الجملة الأولى: وهل صدقوا ؟ فكانت الجملة الثانية جوابا عن السؤال.

ومنه أيضا قول الشاعر الوليد بن يزيد:

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال

عفاه كل حنّان عسوف الوبل هطال

فالبيت الثاني جواب عن سؤال مقدّر بعد البيت الأول.

كمال الانقطاع: وذلك بأن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء أو تتفقا، ولكن لا يكون بينهما جامع ولا رابط فمما اختلفت فيه الجملتان خبرا وإنشاء قول الأخطل:

وقال رائدهم ارسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار

فالجملة "ارسوا" إنشائية، و"نزاولها" خبرية.

ومنه قول أبي العتاهية:

يا صاحب الدنيا المحبّ لها أنت الذي لا ينقضي تعبه

فجملة الشطر الأول إنشائية، وجملة الشطر الثاني خبرية، فجاءت مفصولة عنها غير معطوفة.

وأما ما اختلفت فيه الجملتان من حيث الجامع المعنوي بينهما فكقول الشاعر:

وإنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

مواطن الوصل: أما المواطن التي يتعين فيها الوصل فهي:

اتفاق الجملتين خبرا وإنشاء:

فالخبريتان كقوله تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) (الانفطار: 13،14).

والإنشائيتان كقوله سبحانه: (ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) 'الحديد: 7).

كون الفصل مخلا بالمعنى: وذلك في الجواب بـ (لا) الذي يوهم – مع ما يعقب لا – الدعاء على السائل إذا لم يصل (لا) بما بعدها، كقول القائل لمن سأله: هل رجع ابنك المسافر ؟ لا، وبارك الله فيك، فإنه لو قال: لا بارك الله فيك، لأوهم الدعاء عليه.

وتسمى هذه الحالة عند علماء البلاغة كمال الانقطاع مع الإيهام، إذ أصل كمال الانقطاع أن يفصل، فلما أوهم وصل.

حكم الجملة الحالية فصلا ووصلا: قد تأتي الحال مفردة وقد تأتي جملة، ولا بد للحال من صاحب.

وتكون الجملة الحالية مشتملة على ضمير لصاحب الحال، أو واو تربطها بما قبلها.

وإذا كانت الجملة الحالية مشتملة على ضمير لصاحب الحال، فإن للواو فيها خمس أحوال:

- امتناع الواو.
- وجوب الواو.
- ترجيح وجودها.
- ترجيح تركها.
- تساوي وجودها وتركها.

فامتناع الواو إذا كانت الجملة الحالية فعلا مضارعا غير منفي كقوله تعالى: (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) (القيامة: 33).

ومنه قول الشاعر علقمة:

وقد علوت سفعني يوم قديديمة الجوزاء مسموم

- ووجوب الواو إذا كانت الجملة اسمية وكان المبتدأ فيها ضميرا لصاحب الحال كقوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (البقرة: 22).
- ويرجح وجود الواو إذا كانت الجملة اسمية ليس مبتدؤها ضميرا، كقوله تعالى: (وجاء ربك والملك صفا صفا) (الفجر: 22).
- ويترجح ترك الواو إذا تقدمت على الجملة أداة من الأدوات، كقول الفرزدق:

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بني حواليّ الأسود الحوارد

- ويتساوى وجود الواو وحذفها إذا كان الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفي أو فعل ماض كقوله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) (النحل: 78).

ومن هذا قول الشاعر:

ثووا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر

وقول الآخر:

إن تلقني لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

ومما جاءت فيه الجملة الحالية فعلها ماض قول الشاعر:

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل

وقول الآخر:

فآبوا بالرماح مكسّرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

بالتوفيق

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr